المدائن

سياحة في عمق التاريخ

تحقيق - وليد عبد الامير علوان
تصوير - فاضل عباس السلامي

لعله من النادر أن تجتمع في منطقة واحدة، صروح تاريخية، ومراقد لصحابة رسول الله (ص)، وموقع شهد أعظم معارك المسلمين التاريخية، حيث كان الانتصار فيها نقطة تحول في مسيرة الإسلام، إلا أن ذلك موجود فعلا، وعلى الارض، وفي رقعة جغرافية لا تتجاوز كيلومترا مربعا، وذلك في منطقة المدائن جنوب العاصمة بغداد.

طاق كسرى
The Arch of Kisra

الموقع والتسمية

تقع هذه المدينة على مسافة 40 كم جنوب بغداد، وهي تحمل عدة أسماء، فهي "المدائن" (بالآرامية)، و"طيسفون" (بالفارسية)، و"سلوقيا" (بالاغريقية). وقد بناها الفرثيون وهم أقوام جاؤوا من جنوب إيران، واستولوا على العراق عام 141 ق.م، وبنوا مدينة طيسفون لتكون عاصمة لهم، كذلك اختارها الساسانيون لتكون عاصمتهم الشتوية، مع عاصمتهم الصيفية، سوسة، في إيران، بعد أن تمكن أردشير الساساني من القضاء على ارطبان آخر ملوك الفرثيين عام 224 للميلاد. ومنذ ذلك الوقت حكمت الدولة الساسانية العراق حتى الفتح الاسلامي.

ويظهر أن اختيار هذه المنطقة لتكون عاصمة لأعظم الدول في تلك الحقبة ،كان لاعتبارات عسكرية، حيث إنها محمية بمانع طبيعي هو نهر دجلة من جهة الشرق، كما أن توفر المياه ساعد على بناء تجمعات سكانية ←

مستقرة. ولعل أبرز ما في هذه المنطقة هو القصر الذي بناه شابور الأول (241 - 275م) والذي يعرف بالقصر الابيض أو قصر كسرى والذي يحتوي على أشهر طاق في التاريخ وهو ما يعرف بـ"طاق كسرى".

طاق كسرى

يعتبر طاق كسرى من أعظم الطوق في العالم القديم، وأعلاها. وهو جزء من القصر الأبيض، وقد تهدمت جدرانه واندكت ولم يبق من معالمه إلا الطوق وبعض الأسس. وهناك أكوام من الردم والأنقاض منتشرة على مسافة مئات الأمتار، ما حول الطاق. وما تبقى من البناء تدل على عظمة القصر عندما كان شاخصا في عهده الغابر. يبلغ ارتفاع الطاق عن سطح الارض حوالي 30 مترا وعرضه 25.5 مترا وسمك جداره من الأسفل 7 أمتار. ويطل الإيوان على الشرق وله ثلاثة أبواب، واحد من اليمين والآخر على اليسار وكلاهما قرب فتحة الإيوان، والثالث قرب الجدار الغربي. وإلى يسار الإيوان هناك حائط شاهق يعلو حتى قمة الطاق، يبلغ سمكه من الأسفل 6 أمتار. وقد تم إسناد هذا الحائط بمسند من الآجر والاسمنت مؤخرا لحمايته من الانهيار. أما بالنسبة للحائط الذي كان قائما إلى الجانب الأيمن من الإيوان، فقد تهدم عام 1887 بفعل فيضان دجلة.

لقد كشفت البعثات التنقيبية الأجنبية، ومنها الألمانية عام 1931، بالاشتراك مع متحف متروبولتن في نيويورك الكثير من أسرار هذا القصر، حيث ظهر أن مساحة المدينة هي نحو 3 كيلومترات مربعة. واستطاعت هذه البعثة، الكشف عن أبنية مختلفة، وسور المدينة، وحددت معالم القصر. وقد ظهر بأن القصر يتكون من الإيوان الكبير في الوسط، وهو قاعة العرش، وهذا محاط بحجرات صغيرة من الشمال والجنوب، وهي ملاصقة لجداري الإيوان، وأمامها ردهة طويلة تنتهي بردهة واسعة جدا تقع على محور الإيوان، والبناية كلها معقودة بالآجر والجص، ومطلية من الداخل بالجص والألوان الزاهية. أما واجهة البناء والتي كانت نحو الشرق، فإنها كانت مزينة بنقوش جصيّة وتماثيل رخامية كبيرة.

وقد أسفرت الحفريات عن استخراج مجموعات مختلفة من الآثار التي تعود إلى الفترات الهيلنستية والفرثية والساسانية والإسلامية، كان بينها جرار مزججة، وقوارير زجاجية، ونقوش جبسية وتماثيل رخامية، وأدوات نحاسية متنوعة، مع مقدار كبير من المسكوكات الفضية والنحاسية.

لقد تحدث كتاب العرب القدامى عن فسيفساء هذا القصر، ونقوشه المطعمة بالذهب والأحجار الكريمة، وستائره الحريرية، وسجاده النفيس، وذكروا التماثيل التي كانت تزين واجهات القصر وردهاته والكتابات التي كانت مسطورة على جدران الإيوان، بالاحرف السريانية واللغتين الفهلوية والفارسية .

مراقد للصحابة وأهل البيت

بعد ضم العراق إلى الدولة الإسلامية زمن الخليفة عمر بن الخطاب، اتخذ بعض الصحابة هذا الإقليم محل سكنى لهم، ومنهم الصحابي الجليل سلمان الفارسي الذي ولاه الخليفة الراشد الثاني على العراق .

جانب من مدينة المدائن

Madain (Ctesiphon)

مرقد الصحابي سلمان الفارسي

Mausoleum of Salman El-Farissi

اسمه روزبه ثم سماه رسول الله (ص) بعد إسلامه سلمان، ويسميه أهل العراق "سلمان باك" وهو لفظ أعجمي معناه "سلمان الطاهر". وقد توفي بالعراق سنة 34 هجرية ودفن في المدائن على مسافة قصيرة من شمال الطاق.

ضريح الصحابي سلمان الفارسي

يتكون الضريح من صحن واسع، له بابان كبيران، ويحتوي على عدة أواوين، تم اقتطاع جزء منها وتحويله إلى مدرسة دينية. في أعلى الضريح هناك مئذنتان عاليتان، وأربع قباب، واحدة فوق مرقد سلمان، واثنتان في أعلى ضريح عبد الله بن جابر الانصاري، والسيد طاهر (رضي الله عنهم أجمعين)، وواحدة في أعلى المسجد.

يوجد على الجهة اليمنى من الضريح مسجد يؤمه أهل المنطقة للصلاة فيه يوميا. أما في أيام الجمع فإن ◄

مرقد الصحابي عبد الله بن جابر الأنصاري والسيد طاهر بن الإمام محمد الباقر

The Mausoleums of Houdaifa Ben Al-Yaman and Assayed Attaher Ben Mohammed Al-Baqir

مرقد الصحابي سلمان الفارسي

Mausoleum of Salman El-Farissi

المسجد يمتلئ بالمصلين، مما اضطر القائمين على شؤون الضريح إلى تهيئة مسقفات خارج حرم المسجد لحماية المصلين من الحرارة والأمطار. بعد اجتيازك الصحن تكون قبالة باب صغير مكتوب في أعلاه قول الرسول الأكرم (ص) "سلمان منا أهل البيت".

عند اجتياز هذا الباب ، هناك رواق مساحته بحدود ستين مترا مربعا، توجد فيه مكتبة صغيرة لحفظ القرائين، مع لوحة مكتوب بها الدعاء الخاص بالزيارة، وأن هذا الرواق قد تم تجديده حديثا، حيث تم تزيين سقفه بالعديد من النقوش الإسلامية الجميلة. في منتصف الرواق، هناك باب صغيرة تؤدي مباشرة إلى المرقد.

يقع المرقد وسط حرم صغير، يحتوي على شباك صغير يطل على الرواق، ويوجد داخله باب حديدي صغير يؤدي إلى مرقد الصحابة حذيفة بن اليمان وعبد الله بن جابر الانصاري ، والسيد الطاهر بن الامام محمد الباقر (رضي الله عنهم أجمعين)، وهذا الحرم تزينه النقوش الإسلامية البديعة.

يوجد في أعلى المرقد صندوق أركانه من الخشب الصاج، يحتوي على مشبك من الفضة المطلية، وتوجد في أعلى أركانه الأربعة قناديل نحاسية كل واحدة منها تشغل ركنا من هذه الأركان.

مرقد الصحابي حذيفة بن اليمان

على الجهة اليسرى من مرقد الصحابي سلمان الفارسي، ومن خلال باب صغير من داخل المرقد، وآخر من الخارج ، يقع مرقد الصحابي حذيفة بن اليمان، صاحب رسول الله (ص)، ومن الذين أبلوا بلاءً حسنا في معارك المسلمين، وصاحب الدرجة العالية من العلم بالكتاب والسنة. ولاه عثمان بن عفان ولاية المدائن، وبعد مقتل عثمان أقره الإمام علي بن ابي طالب (ع) على ولايته، وتوفي هناك سنة 36 هـ كان قبره وقبر الصحابي عبد الله بن جابر الانصاري على ضفة نهر دجلة، إلا أنه نتيجة للتآكل الذي حصل في الضفة الغربية لنهر دجلة بسبب الفيضان تم نقل رفاتهما إلى موضعه الحالي عام 1931م. إن الحرم الذي يوجد مرقد هذا الصحابي فيه، هو مساو لحرم الصحابي سلمان الفارسي بالمساحة. عند اجتياز الباب الخارجي لهذا الضريح وفي الجهة اليمنى من الحرم يقع مرقد حذيفة بن اليمان.

يوجد في أعلى المرقد صندوق من الخشب الصاج يحتوي على مشبكات جميلة مصنوعة من نفس الخشب أيضا. ويوجد في أعلاه إطار من الالمنيوم.

مراقد أخرى

داخل نفس الحرم، وعلى بعد أربعة امتار، يوجد هناك مرقد آخر للصحابي عبد الله الانصاري، ابن الصحابي المشهور جابر بن عبد الله الانصاري، الذي شهد بدرا وثماني عشرة غزوة مع النبي (ص)، وامتد به العمر حتى مات سنة 78 من الهجرة، وبعد من أجلاء المفسرين. وكذلك، وضمن نفس المرقد، وعلى الجهة الاخرى، هناك مرقد السيد طاهر بن الامام محمد الباقر بن الامام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام).

بانوراما القادسية

ونفس الموقع شهد انتصار المسلمين على الفرس في معركة القادسية، حيث سار الجيش بقيادة سعد بن أبي وقاص نحو المدائن، وبمجرد رؤيتهم لإيوان كسرى تذكروا وعد رسول الله (ص) لهم بفتح إيوان كسرى، فحاصر سعد المدينة في ذي الحجة سنة 14 هـ هرب أصحاب القصر، ودخل سعد وجيشه المدائن والقصر الأبيض.

وقد تم بناء بانوراما تجسد معركة القادسية، وبمؤثرات صوتية ذات تقنية عالية، في مبنى أعد خصيصا لهذا الغرض مع بنايتين أخريين واحدة للأجهزة وأخرى لسكن العاملين، وتحتوي أيضا على خدمات للزائرين، وكان يزورها الكثير من الزوار وخصوصا طلبة المدارس، حيث كانت تنظم سفرات جماعية لهم، وللأسف الشديد، فانه قد تم سلب ونهب جميع المحتويات والآلات، ولم يسلم حتى المبنى من معاول الهدم، وذلك في أعقاب سقوط النظام السابق وأصبح المكان حاله حال قصر كسرى، أثرا بعد عين.

مجمع المدائن السياحي

على ضفاف نهر دجلة الخالد، ووسط غابات من أشجار الحمضيات التي تشتهر بها المنطقة وأشجار النخيل، وعلى مسافة لا تبعد عن طاق كسرى أكثر من كيلومتر واحد أنشأ مجمع المدائن السياحي في سبعينات القرن الماضي.

يضم هذا المجمع فندقا ذا طابقين، يحتوي على 20 غرفة نوم مزودة بكافة وسائل الراحة، بالإضافة إلى هذا الفندق الجميل، فهنالك خمس فيلات سياحية، تحتوي كل منها على غرفتي نوم وغرفة استقبال ومطعم وحمام، كما توجد هناك 16 شقة و16 غرفة مفردة.

يحتوي هذا المجمع على سوبر ماركت، ومسبح أولمبي وحدائق غناء مزودة بوسائل لهو للأطفال. وفي الجهة المطلة على نهر دجلة توجد عوامة كانت معدة لتكون كازينو عائم، علما أن أجور المبيت في هذه المرفقات زهيدة جدا حيث إن أجرة المنام لليلة واحدة في الفيلا مع الخدمة هي بما يعادل 20 دولارا، أما الغرفة المفردة فإن أجورها لا تزيد عن 8 دولارات. ومن الأهمية بمكان أن نذكر أنه قبل احتلال العراق كان من الصعب جدا الحصول على حجوزات خصوصا ليالي الجمع، لأنه كان المكان المفضل للعرسان، ومن يبحث عن الراحة والهدوء. وكذلك فإن الكثير من العوائل كانت تأتي إلى هذا المجمع خصوصا أيام الجمع والعطل الرسمية والدينية، حيث اعتاد البغداديون قضاء اليوم الذي يلي عيدي الفطر والأضحى والذي يسمى بـ"الكسلة" في هذا المكان، والكل يردد الأهزوجة الشعبية "المايزوره لسلمان عمره خسارة". أما في أعقاب الأحداث الأخيرة فقد انحسرت الحركة بشكل كبير، واليوم لايسكن هذا المجمع سوى العوائل التي نزحت من الفلوجة حيث تم تهيئته كملجأ مجاني لهم. ■